ابْنُ مَلكَا البَغْدَادِيُّ
سَارِحُ قَوَانِيْنِ الحَرَكَةِ
(480 ـ 560هـ)

أَعِزَّائِي وَأَحِبَّائِي:

ابْنُ مَلكَا البَغْدَادِيُّ، عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ الإِسْلامِ المَوْسُوْعِيِّيْنَ، وَمِنْ أَطِبَّاءِ المُسْلِمِيْنَ المَعْرُوفِيْنَ، كَانَ لَهُ بَاعٌ طَوِيْلٌ في العُلُوْمِ التَّطْبِيْقِيَّةِ كَالطِّبِّ وَالهَنْدَسَةِ وَالفِيْزِيَاءِ وَالمِيْكَانِيْكِا، إِضَافَةً إِلى اطِّلَاعِهِ عَلَى العُلُوْمِ العَقْلِيَّةِ وَالفَلْسَفِيَّةِ وَضُلُوْعِهِ فِيْهَا حَتَّى لُقِّبَ في عَصْرِهِ بِـ «فَيْلَسُوْفِ العُلَمَاءِ» في بِلادِ العِرَاقِ، وَلِضُلُوعِهِ كَذَلِكَ في العُلُومِ الحكمِيَّةِ وَالطِّبِّيَّةِ أُطْلِقَ عَلَيْهِ لَقَب: «أَوْحَد الزَّمَانِ».

كَمَا كَانَتْ لَهُ مَقْدِرَتُهُ الفَائِقَةُ عَلى مُعَالَجَةِ المَرضَى النَّفْسَانِيِّيْنَ، حَتَّى أَذْهَلَ النَّاسَ في عَصْرِهِ، وَأَبْهَرَ العُلَمَاءَ المُعَاصِرِيْنَ بِالطُّرُقِ الَّتِي كَانَ يَسْتَخدمُهَا في عِلاجِ الأَمْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ، وَحَازَ شُهْرَةً وَاسِعَةً بَيْنَ أَطِبَّاءِ عَصْرِهِ وَمَكَانَةً مَرْمُوْقَةً عِنْدَ ذَوِي الأَمْرِ وَالسُّلْطَانِ، وَرُبَّمَا حَسَدَهُ عَلَى هَذِهِ المَكَانَةِ بَعْضُ عُلَمَاءِ وَأَطِبَّاءِ عَصْرِهِ، وَنَافَسُوْهُ عَلَيْهَا.

كَمَا لا يُمْكِنُ لأَيِّ بَاحِثٍ في التُّرَاثِ العَرَبِيِّ الإِسْلامِيِّ أَنْ يُنْكِرَ فَضْلَهُ وَجُهْدَهُ العِلْمِيَّ

في الكَشْفِ عَنْ بَعْضِ قَوَانِيْنِ الـحَرَكَةِ الـمِيْكَانِيْكِيَّةِ لِلأَجْسَامِ وَشَرْحِهَا فِيْزِيَائِيّاً. كَمَـا أَنَّ جُهْدَهُ في هَذِهِ الـمَسْأَلَةِ يُضَافُ إِلى جُهْدِ العَالِـمِ وَالرِّيَاضِيِّ وَالطَّبِيْبِ «أَبِيْ بَكْرٍ الرَّازِيِّ» لِيُشَكِّلَ نَسَقاً عِلْمِيّاً مُتَكَامِلاً في تَقْدِيْرِ حَرَكَةِ وَثِقَلِ بَعْضِ الأَجْسَامِ الـمَـادِّيَّةِ، فَبَحْثُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَـا في هذِهِ الـمَسْأَلَةِ، يُكَمِّلُ بَحْثَ الآخَرِ وَيُوَافِقُهُ.

ابْنُ مَلكَا البَغْدَادِيُّ، هَذَا العَالِـمُ الفَاضِلُ الَّذِي تَـحَمَّلَ في سَبِيْلِ البَحْثِ العِلْمِيِّ الـمَشَاقَّ وَالأَهْوَالَ، وَصَبَرَ عَلى مَا اعْتَرَضَ حَيَاتَهُ مِنْ مُنْغِّصَاتٍ لِلتَّوَصُّلِ إِلى حَلِّ مُعْضِلَةٍ عِلْمِيَّةٍ، أَوْ مِنْ أَجْلِ مُعَالَـجَةِ مَرَضٍ مَا يُعَانِيْ مِنْهُ أَحَدُ النَّاسِ، أَوْ لِإِفَادَةِ النَّاسِ في الـمَنَاطِقِ النَّائِيَةِ، أَوْ لِإِرْضَاءِ مُنَاوِئٍ، أَوْ لِتَجَنُّبِ أَذَى عَدُوٍّ.

كَمَـا أَنَّهُ مِنْ أَوَائِلِ الأَطِبَّاءِ في تَارِيْخِ العَرَبِ وَالإِسْلامِ الَّذِينَ تَسَلَّحُوْا بِالـجُرْأَةِ وَالإِقْدَامِ في إِجْرَاءِ العَمَلِيَّاتِ الـجِرَاحِيَّةِ لِلْمَرْضَى الَّذِينَ هُمْ بِحَاجَةٍ إِلى ذَلِكَ دُوْنَ رَهْبَةٍ أَوْ خَوْفٍ مِنْ سُوْءِ العَاقِبَةِ، أَوْ مِـمَّـا سَيَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ أَضْرَارٍ ـ لا سَمَحَ اللهُ ـ مَا دَامَ أَنَّ جُهْدَهُ وَنِيَّتَهُ يَصُبَّانِ في خَيْرِ النَّاسِ وَفَائِدَتِـهِمْ، وَمَا دَامَ أَنَّهُ واثِقٌ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي لا يَـخُوْنُهُ النَّجَاحُ إِلَّا نَادِراً.

هَذِهِ الرُّوْحُ العَلْمِيَّةُ الـجَرِيْئَةُ سَاهَـمَتْ إِسْهَاماً كَبِيْراً في دَفْعِهِ نَحْوَ النَّجَاحِ وَالتَّفَوُّقِ عَلى غَيْرِهِ مِنَ العُلَمَـاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَـهَابُونَ الـخَوْضَ في الأَبحَاثِ وَالتَّجَارِبِ العِلْمِيَّةِ وَالطِّبِّيَّةِ الَّتِي كَانَ يَـخُوضُهَا وَيَظْفَرُ فِيْهَا بِالنَّجَاحِ بَعْدَ أَنْ يَكْتُبَ اللهُ لَهُ السَّدَادَ وَالتَّوْفِيْقَ في عَمَلِهِ.

تَـحَمَّلَ (ابْنُ مَلكَا البَغْدَادِيُّ) في سَبِيْلِ إِسْلامِهِ، وَاتِّبَاعِهِ دَعْوَةَ الـحَقِّ، بَعْدَ أَنْ قَذَفَ اللهُ ﷻ في قَلْبِهِ نُوْرَ الإِيْمَـانِ وَالـهُدَى، هَجْرَ القَرِيْبِ، وَنُكْرَانَ الابْنِ وَالـحَفِيْدِ، عِلْمـاً أَنَّهُ

عَاشَ القِسْمَ الأَكبَرَ مِنْ عُمُرِهِ وَحَيَاتِهِ وَهُوَ عَلى مِلَّةِ اليَهُوْدِ، قَبْلَ أَنْ يُكرِمَهُ اللهُ بِنِعْمَةِ الإِسْلامِ، وَهَذَا مَا يُعَلِّلُ لَنَا أَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الإِيْمَانِ، مُخْلِصَ الإِسْلامِ، حَسَنَ النِّيَّةِ في اعْتِنَاقِهِ دِيْنَ اللهِ سبحانه، بَعْدَمَا أَيْقَنَ يَقِيْناً تَامّاً أَنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ، وأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوْا، وَأَنَّ الكَافِرِيْنَ وَالمُشْرِكِيْنَ لا مَوْلَى لَهُمْ.

فَتَعَالَوْا الآنَ لِنَتَعَرَّفَ عَلَى هَذَا العَالِمِ الجَلِيْلِ، الَّذِي وَفَّقَهُ اللهُ إِلى الإِيْمَانِ وَالهُدَى، كَمَا سَدَّدَ خُطَاهُ إِلى العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ وَالحِكْمَةِ.

❁ ❁ ❁

هُوَ أَبُوْ البَرَكَاتِ «هِبَةُ الله بنُ عَليِّ بنِ مَلكَا البَغْدَادِيُّ» طَبِيْبٌ وَعَالِمٌ وَفَيْلَسُوْفٌ، اشْتُهِرَ في القَرْنِ السَّادِسِ الهِجْرِيِّ / الثَّانِي عَشَرَ المِيْلادِيِّ، لُقِّبَ بِـ «أَوْحَدِ الزَّمَانِ»، وَعَرَفَهُ عَامَّةُ النَّاسِ بِاسْمِ «البَلَدِيِّ».

وَلَمْ يَذْكُرِ المُؤَرِّخُوْنَ لَنَا شَيْئاً عَنْ وِلادَتِهِ وَنَشْأَتِهِ، سِوَى أَنَّهُ وُلِدَ في البَصْرَةِ سَنَةَ (480هـ ـ 1087م) مِنْ وَالِدَيْنِ يَهُوْدِيَّيْنِ، وَنَشَأَ وَتَرعْرَعَ بَيْنَ آلِ مِلَّتِهِ، وَلَمْ يُسْلِمْ إِلَّا في آخرِ سِنِيْنِ حَيَاتِهِ.

وَمِنَ الظَّاهِرِ في تَرْجَمَةِ حَيَاتِهِ في كُتُبِ التَّرَاجِمِ وَالسِّيَرِ أَنَّهُ كَانَ عَرَبِيَّ النَّشْأَةِ وَالوِلادَةِ وَالنَّسَبِ، وَعَائِلَتُهُ كَانَتْ مِنَ العَرَبِ الأَقْحَاحِ الَّذِينَ كَانُوا عَلى مِلَّةِ اليَهُوْدِ، ثُمَّ اسْتَمَرُّوا عَلى دِيْنِهِمْ وَعَقِيْدَتِهِمْ حَتَّى بَعْدَ الفَتْحِ الإِسْلامِيِّ لِبلادِ العِرَاقِ؛ لأَنَّ الإِسْلامَ لَمْ يَحْمِلِ النَّاسَ عَلى اتِّبَاعِهِ بِالإِكْرَاهِ أَوْ بِقُوَّةِ السَّيْفِ، وَأَتْبَاعُ الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى ـ سَوَاءٌ كَانُوا مِنَ العَرَبِ أَوْ

مِنْ غَيْرِهِمْ - كَانُوا يَعِيْشُونَ دَاخِلَ الـمُجْتَمَعِ الإِسْلامِيِّ مُنَعَّمِيْنَ بِالأَمْنِ وَالاسْتِقْرَارِ، وَيَتَمَتَّعُوْنَ بِكَامِلِ حُقُوقِهِمُ الدِّيْنِيَّةِ وَالـمَدَنِيَّةِ كَالـمُسْلِمِيْنَ تَـمَاماً، وَيُمَـارِسُوْنَ نَشَاطَاتِـهِمُ الأَدَبِيَّةَ وَالعِلْمِيَّةَ بِأَجْوَاء تَتَوفَّرُ فِيْهَا كُلُّ أَسْبَابِ وَمُقَوِّمَاتِ التَّحْصِيْلِ العِلْمِيِّ وَالـمَعْرِفِيِّ، كَمَا كَانَ يَتَسَنَّى لَـهُمُ الاطِّلاعُ عَلى مُؤَلَّفَاتِ عُلَمَـاءِ الـمُسْلِمِيْنَ في الفِقْهِ وَالـحَدِيْثِ وَالتَّفْسِيْرِ دُوْنَ مُضَايَقَةٍ أَوْ حَرَجٍ، كَمَـا كَانَ الـمُتَفَوِّقُوْنَ مِنْهُمْ يَتَبَوَّؤُونَ الـمَرَاكِزَ وَالوَظَائِفَ العُلْيَا في الدَّوْلَةِ، وَبِالـمُقَابِلِ كَانَ الكَثِيْرُونَ مِنْهُمْ يَـخْدِمُونَ وَيَنْفَعُونَ الإِسْلامَ وَالـمُسْلِمِيْنَ بَجِدٍّ وَإِخْلاصٍ، وَرُبَّمَـا فَاقُوا عُلَمَـاءَ الـمُسْلِمِيْنَ أَنْفُسَهُمْ بِـهَذَا في كَثِيْرٍ مِنَ الأَحْيَانِ.

لَقَدْ كَانَ «ابْنُ مَلكَا البَغْدَادِيُّ» مَيَّالاً لِلْعِلْمِ مُنْذُ صِغَرِهِ بِالفِطْرَةِ، إِذْ كَانَ يَتَمَتَّعُ بِذَكَاءٍ نَادِرٍ، وَرُبَّمَـا كَانَ وَالِدُهُ مِـمَّنْ يَـهْتَمُّوْنَ بِالعِلْمِ وَالـمَعْرِفَةِ، أَوْ بِالأَعْشَابِ الطِّبِيَّةِ كَمَـا يُرَجِّحُ البَعْضُ.

وَعِنْدَمَا بَلَغَ «ابْنُ مَلكَا البَغْدَادِيُّ» سِنَّ الرُّشْدِ، انْتَقَلَ مِنَ البَصْرَةِ إِلى بَغْدَادَ مِنْ أَجْلِ التَّحْصِيْلِ العِلْمِيِّ، وَعَمِلَ في بَعْضِ الـمِهَنِ، وَصَارَ يَتَحَسَّسُ مَـجَالِسَ العُلَمَـاءِ وَالأَطِبَّاءِ، وَمَالَ في بِدَايَةِ تَـحْصِيْلِهِ العِلْمِيِّ في بَغْدَادَ إِلى مَـجْلِسِ العَالِـمِ وَالطَّبِيْبِ الـمَعْرُوفِ (أَبي الـحَسَنِ سَعِيْدِ بنِ هِبَةِ اللهِ) هَذَا الَّذِي كَانَ طَبِيْباً حَاذِقاً وَفَاضِلاً وَعَارِفاً بِالعُلُوْمِ الـحكمِيَّةِ في بَغْدَادَ، وَخَدَمَ الـخَلِيْفَةَ العَبَّاسِيَّ (الـمُقْتَدِرَ) بِالطِّبِ، وَوَلَدَهُ (الـمُسْتَظْهِرَ بِاللهِ) مِنْ بَعْدِهِ، كَمَا كَانَتْ لَهُ مُصَنَّفَاتٌ طِبِّيَّةٌ وَفَلْسَفِيَّةٌ عَدِيْدَةٌ، وَتَـخَرَّجَ عَلى يَدَيْهِ العَدِيْدُ مِنَ الأَطِبَّاءِ وَالعُلَمَـاءِ الـمَشْهُوْرِينَ، كَابْنِ مَلكَا البَغْدَادِيِّ وَابْنِ التِّلْمِيْذِ الطَّبِيْبِ الـمَشْهُوْرِ وَغَيْرِهِـمَا.

❁ ❁ ❁

إِنَّ مِـمَّـا يَدُلُّ عَلى ذَكَاءِ (ابْنِ مَلكَا البَغْدَادِيِّ) وَرَجَاحَةِ عَقْلِهِ، وَتَفَانِيْهِ في طَلَبِ العِلْمِ مَا ذَكَرَهُ (الصَّفَدِيُّ) في كِتَابِهِ (الوَافي بِالوَفِيَّاتِ) أَنَّ الطَّبِيْبَ (أَبَا الـحَسَنِ سَعِيْداً) كَانَ لا يُقرِئ يَـهُوْدِيّاً، وَكَانَ ابْنُ مَلكَا يَشْتَهِي أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ، وَبَذَلَ في سَبِيْلِ ذَلِكَ كُلَّ جُهْدٍ فَمَـا اسْتَطَاعَ، فَكَانَ يَتَحَايَلُ لِلبَوَّابِ وَيَتَخَادَمُ لَهُ، وَيَـجْلِسُ في الدِّهْلِيْزِ، وَبَعْدَ مُرُوْرِ سَنَةٍ، عَرضَتْ مَسْأَلَةٌ طِبِّيَّةٌ، فَلَمْ يَـجِدْ لَـهَا الطَّبِيْبُ «أَبُو الـحَسَنِ» جَوَاباً مِنْ تَلامِذَتِهِ، فَخَرَجَ «ابْنُ مَلكَا» وَقَالَ لأَبي الـحَسَنِ:

يَا سَيِّدَنَا! بِإِذْنِكَ أَتكَلَّمُ؟

فَقَالَ لَهُ: قُلْ.

فَأَجَابَ بِشَيءٍ مِنْ كَلامِ «جالينوسَ» وَقَالَ:

يَا سَيِّدَنَا، هَذَا جَرَى في اليَومِ الفُلانِيِّ في الـمِيْعَادِ الفُلانيِّ.

فَاسْتَعْلَمَ حَالَهُ فَأَوْضَحَهُ، فَقَالَ:

إِذَا كُنْتَ كَذَا فَمَـا نَمْنَعُكَ، فَقَرَّبَهُ وَصَارَ مِنْ أَجَلِّ تَلامِذَتِهِ.

وَيَرْوِي أَيْضَاً: أَنَّهُ كَانَ في بَغْدَادَ مَرِيضٌ بِالـمَـالنخوليا، يَعْتَقِدُ أَنَّ في رَأْسِهِ دِنّاً وَأَنَّهُ لا يُفَارِقُهُ. فَكَانَ يَتَوخَّى السُّقُوفَ القَصِيْرَةَ وَيُطَأْطِئُ رَأْسَهُ، فَأَحْضَرَهُ (أَبُو البَرَكَاتِ) إِلَيْهِ وَأَمَرَ غُلامَهُ أَنْ يُـحْضِرَ دِنّاً وَأَنْ يَرْمِيَهُ قُرْبَ رَأْسِهِ وَأَنْ يَكْسِرَهُ بِعَصاً، فَفَعَلَ، فَذَهَبَ عَنِ الرَّجُلِ مَا كَانَ يَتَوَهَّـمُهُ وَبَرِئَ مِنَ الـمَرَضِ.

خَدَمَ (ابْنُ مَلكَا) الـخَلِيْفَةَ العَبَّاسيَّ (الـمُسْتَنْجِدَ بِاللهِ) بِالطِّبِّ، فَكَانَ طَبِيْبَ الدَّوْلَةِ

الـخَاصَّ، ثُمَّ خَدَمَ مِنْ بَعْدِهِ السُّلْطَانَ السَّلْجُوقِيَّ (مَـحْمُوْدَ أَبَا القَاسِمِ بنَ مُـحَمَّدٍ) وَعَالَجَ لَهُ زَوْجَتَهُ (الـخَاتُونَ) في الـمَرَضِ الَّذِي مَاتَتْ فِيْهِ.

وَلَقَدِ اشْتُهِرَ (ابْنُ مَلكَا) بِجُرْأَتِهِ في مُدَاوَاةِ الـمَرْضَى، فَكَانَ لا يَتَرَدَّدُ في اتِّـخَاذِ القَرَارَاتِ في إِجْرَاءِ العَمَلِيَّاتِ الـجِرَاحِيَّةِ الـخَطِيْرَةِ، كَمَـا كَانَ يَنْصَحُ طُلَّابَهُ أَنَّ الطَّبِيْبَ النَّاجِحَ هُوَ الَّذِي لا يُعْطِي مَرِيْضَهُ انْطِبَاعاً بِعَدمِ الشِّفَاءِ، أَوْ أَنْ يَـجْعَلَهُ مُتَخَوِّفاً مِنْ مَرَضِهِ؛ لأَنَّ ذَلِكَ يُؤَخِّرُ مِنْ شِفَائِهِ.

لَقَدْ وُصِفَ (ابْنُ مَلكَا) بِأَنَّهُ خَبِيْرٌ بِعُلُوْمِ الأَوَائِلِ، حُلْوُ العِبَارَةِ، لَطِيْفُ الإِشَارَةِ، وَقَفَ عَلى كُتُبِ الـمُتَقَدِّمِيْنَ وَالـمُتَأَخِّرِيْنَ في هَذَا الشَّأنِ، فَكَانَتْ نَصَائِحُهُ يَتَنَاقَلُهَا العُلَمَـاءُ بَعْدَهُ وَاحِداً بَعْدَ الآخَرِ، فَمِنْ أَقْوَالِهِ: «الـخَطِيْبُ هُوَ الَّذِي تَصْدُرُ عَنْهُ الـخَطَابَةُ، وَمِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَكُوْنَ مُتَنَسِّكاً مُسْتَعْفِفاً فَصِيْحاً بَلِيْغاً، يَقْدِرُ عَلى اسْتِمَـالَةِ السَّامِعِيْنَ وَاسْتِدْرَاجِهِمْ، وَيَعْرِفُ أَخْلاقَ النَّاسِ وَيُكَلِّمُهُمْ عَلى قَدْرِ عُقُوْلِـهِمْ».

وَمِنْ أَقْوَالِهِ: «عَادَةُ الدُّنْيَا لُطْفُ الـحَوَاسِّ».

لَقَدْ كَتَبَ اللهُ لَهُ الـهِدَايَةَ إِلى الإِسْلامِ، فَأَسْلَمَ في كِبَرِهِ، وَأَخْلَصَ لِلإِسْلامِ إِخْلاصاً عَمِيْقاً وَلاقَى في حَيَاتِهِ بَعْدَ إِسْلامِهِ صُعُوْبَاتٍ كَثِيْرَةً مِنْ ذَوِيْهِ وَأَقْرِبَائِهِ مِنْ أَبْنَاءِ مِلَّتِهِ، وَبِشَكلٍ خَاصٍّ مِنْ بَنَاتِهِ اللَّوَاتِي أَنْكَرْنَ عَلَيْهِ إِسْلامَهُ وَانْقَطَعْنَ عَنْهُ نِـهَائِيّاً. فَصَبَرَ عَلى قَطِيْعَتِهِنَّ وَاحْتَسَبَ أَمرَهُ عِنْدَ اللهِ ﷻ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ عَمِيَ بَعْدَ تَفَرُّغِهِ لِلْبَحْثِ وَالتَّأْلِيْفِ، وَمَاتَ في هَـمَذَانَ عَنْ عُمُرٍ يُنَاهِزُ

الثَّمَانِيْنَ عَاماً سَنَةَ (560هـ ـ 1165م)، وَدُفِنَ هُنَاكَ بَعْدَ أَنْ شَيَّعَهُ جَمْعٌ غَفِيْرٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَطُلَّابِهِ.

❋ ❋ ❋

لَقَدْ كَانَ (ابْنُ مَلكَا البَغْدَادِيُّ) عَالِماً مَوْسُوعِيّاً، وَمُعَلِّماً نَاجِحاً تَخَرَّجَ عَلى يَدَيْهِ العَدِيدُ مِنَ العُلَمَاءِ وَالأَطِبَّاءِ الَّذِيْنَ نَالُوا شُهْرَةً وَاسِعَةً، وَمِنْ أَبرَزِهِم (الجَمَالُ بْنُ فَضْلانَ) وَ(ابْنُ الدَّهَّانِ المُنَجِّمُ) وَ(المُهَذّبُ النَّقَّاشُ) وَغَيرُهُمْ.

كَمَا كَانَتْ لَهُ مُنَافَسَاتُهُ العِلْمِيَّةُ مَعَ بَعْضِ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ وَبِشَكْلٍ خَاصٍّ مَعَ الطَّبِيْبِ المَعْرُوْفِ (ابْنِ التِّلمِيْذِ) الَّذِي كَانَ يُلَقَّبُ بِأَمِيْنِ الدَّوْلَةِ، وَبِرَئِيْسِ الأَطِبَّاءِ، أَيْ: كَانَ بِمَثَابَةِ وَزِيْرِ الصِّحَّةِ في عَصْرِنَا هَذَا، وَكَانَ (ابْنُ التِّلمِيْذِ) نَصْرَانِيّاً، فَكَانَ (ابْنُ مَلكَا البَغْدَادِيُّ) يَلْعَنُ اليَهُوْدَ بَعْدَ إِسْلامِهِ، وَخَاصَّةً أَمَامَ (ابْنِ التِّلمِيْذِ) فَيَحْسَبُ أَنَّهُ يَلْعَنُهُ، فَيَحْنَقُ مِنْهُ، وَيَسْتَشِيْطُ مِنْهُ غَضَباً. وَكَانَ (ابْنُ مَلكَا البَغْدَادِيُّ) يَتَقَصَّدُ فِعْلَ ذَلِكَ لأَنَّ (ابْنَ التِّلمِيْذِ) قَدْ هَجَاهُ في بَعْضِ أَبْيَاتٍ مِنَ الشِّعْرِ.

وَضَعَ (ابْنُ مَلكَا البَغْدَادِيُّ) العَدِيْدَ مِنَ المُؤَلَّفَاتِ؛ مِنْهَا:

1 ـ كِتَابُ المُعْتَبِرِ في الحِكْمَةِ.

2 ـ كِتَابُ الأَقْرَابَاذُوْنِ.

3 ـ كِتَابٌ في مَاهِيَّةِ العَقْلِ.

4 ـ اخْتِصَارُ التَّشْرِيْحِ مِنْ كِتَابِ جَالِيْنُوسَ.

5 ـ كِتَابُ النَّفْسِ.

6 ـ مَقَالَةٌ في سَبَبِ ظُهُورِ الكَوَاكِبِ لَيْلاً واخْتِفَائِهَا نَـهَاراً.

❁ ❁ ❁

إِنَّ كِتَابَ «الـمُعْتَبِرِ» هُوَ أَبْرَزُ مُؤَلَّفَاتِ (ابْنِ مَلكَا البَغْدَادِيِّ) وَأَشْهَرُهَا عَلى الإِطْلاقِ، وَقَدْ أَمْلاهُ عَلى تَلامِذَتِهِ، حَتَّى إِنَّ خَصْمَهُ (ابْنَ التِّلْمِيْذِ) قَدْ قَرَأَهُ عَلَيْهِ، لِـمَـا وَجَدَ فِيْهِ مِنْ عِلْمٍ وَفِيرٍ في العُلُومِ التَّطْبِيْقِيَّةِ خَاصَّةً فِيْمَـا يَتَعَلَّقُ بِعِلْمِ الـمِيْكَانِيْكَا.

وَقَدْ شَرَحَ فِيْهِ بَعْضَ القَوَانِيْنِ الفِيزْيَائِيَّةِ وَالـمِيْكَانِيْكِيَّةِ فِيْمَـا يَتَعَلَّقُ بِعِلْمِ الـحَرَكَةِ، وَقَدْ تَنَاوَلَ البَاحِثُ الدُّكْتُوْر (عَبدُ اللهِ الدَّفَّاعُ) في كِتَابِهِ (عُلَمَـاءِ الفِيزْيَاءِ في الإِسْلامِ) شَرْحَ (ابْنِ مَلكَا) بِشَيءٍ مِنَ التَّفْصِيْلِ وَالتَّوْضِيْحِ، فَقَالَ:

أَوَّلاً: أَنْوَاعُ الـحَرَكَةِ: يَقُوْلُ «ابْنُ مَلكَا» بِنَوْعَيْنِ مِنَ الـحَرَكَةِ. فَالـحَرَكَةُ إِمَّا طَبِيْعِيَّةٌ أَوْ قَسْرِيَّةٌ، وَالقَسْرِيَّةُ تَتَقَدَّمُهَا الطَّبِيْعِيَّةُ؛ لأَنَّ الـمَقْسُوْرَ إِنَّمَـا هُوَ مَقْسُوْرٌ عَنْ طَبْعِهِ إِلى طَبْعٍ قَاسِرِهِ. فَبِهَذَا يُعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ جِسْمٍ طَبِيْعِيٍّ حَيِّزاً طَبِيْعِيّاً قَدْ يَكُوْنُ فِيْهِ بِالطَّبْعِ القَانُونُ الأَوَّلُ لِلحَرَكَةِ.

ثَانِياً: كَمِّيَّةُ الـحَرَكَةِ: كَتَبَ (ابْنُ مَلكَا) عَنْ حَرَكَةِ التَّسَاقُطِ الـحُرِّ تَـحْتَ تَأْثِيْرِ القُوَّةِ الـجَاذِبَةِ لِلأَرْضِ، وَأَشَارَ إِلى أَنَّ حَرَكَةَ الـجِسْمِ تَتَزَايَدُ في السُّرْعَةِ كُلَّمَـا أَمْعَنَ الـجِسْمُ في هُبُوطِهِ الـحُرِّ، بِحَيْثُ أَنَّ تَأْثِيْرَهُ يَشْتَدُّ مَعَ طُوْلِ الـمَسَافَةِ الـمَقْطُوْعَةِ.

ثُمَّ يُعَلِّقُ الدُّكْتُوْر الدَّفَّاعُ قَائِلاً: «فَهَذَا القَانُوْنُ تَقَدُّمٌ هَامٌّ في مَسِيْرَةِ الـحَضَارَةِ الإِسْلامِيَّةِ»، أَيْقَنَ (ابنُ مَلكَا) أَنَّهُ لَولا تَعَرُّضُ الأَجْسَامِ السَّاقِطَةِ سُقُوطاً حُرّاً لِـمُقَاوَمَةِ الـهَوَاءِ لَـتَسَاقَطَتِ الأَجْسَامُ الـمُخْتَلِفَةُ الثِّقَلِ وَالـهَيْئَةِ بِنَفْسِ السُّرْعَةِ، وَهُوَ بِذَلِكَ أَوَّلُ مَنْ

نَقَضَ قَوْلَ أَرِسْطُو بِتَنَاسُبِ سُرْعَةِ سُقُوْطِ الأَجْسَامِ مَعَ أَثْقَالِهَا، وَيَكُونُ أَيْضاً بِهَذِهِ النَّظَرِيَّةِ قَدْ سَبَقَ (جَالِيْلُو) بِحَوَالِي خَمْسَةِ قُرُوْنٍ.

ثَالِثاً: القَانُونُ الثَّانِي لِلْحَرَكَةِ: يَتَّضِحُ مِمَّا أَوْرَدَهُ (ابْنُ مَلكَا) حَوْلَ هَذَا القَانُونِ إِلى أَنَّهُ يُشِيْرُ إِلى تَنَاسُبِ القُوَّةِ مَعَ تَغَيُّرِ السُّرعَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلزَّمَنِ، وَهَذَا مَعْنًى قَرِيْبٌ جِدّاً مِنَ القَوْلِ بِتَنَاسُبِ القُوَّةِ مَعَ التَّسَارُعِ.

رَابِعاً: القَانُوْنُ الثَّالِثُ لِلْحَرَكَةِ: يَقُوْلُ (ابْنُ مَلكَا): إِنَّ الحَلَقَةَ المُتَجَاذِبَةَ بَيْنَ المُصَارِعَيْنِ لِكُلٍّ وَاحِدٍ مِنَ المُتَجَاذِبَيْنِ، في جَذْبِهَا قُوَّةٌ مُقَاوِمَةٌ لِقُوَّةِ الآخَرِ، وَلَيْسَ إِذَا غَلَبَ أَحَدُهُمَا فَجَذَبَهَا نَحْوَهُ تَكُوْنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ قُوَّةِ الجَذْبِ الآخَرِ، بَلْ تِلْكَ القُوَّةُ مَوْجُوْدَةٌ مَقْهُوْرَةٌ، وَلَولاهَا لَمَا احْتَاجَ الآخَرُ إِلى كُلِّ ذَلِكَ الجَذْبِ.

وَيُعَلِّقُ الدُّكْتُوْر الدَّفَّاعُ عَلى هَذَا الكَلامِ مُشِيْراً إِلَى مَا أَكَّدَهُ عُلَمَاءُ المِيْكَانِيْكَا المُعَاصِرُونَ تَعْلِيْقاً عَلى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ (ابْنُ مَلكَا): «وَهَذَا قَوْلٌ وَاضِحٌ في أَنَّ لِكُلِّ فِعْلٍ رَدُّ فِعْلٍ مُسَاوٍ لَهُ في المِقْدَارِ وَمُعَاكِسٌ لَهُ في الاتِّجَاهِ، فَالحَلَقَةُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا في المِثَالِ مَا هِيَ إِلَّا جِسْمٌ في حَالَةِ اتِّزَانٍ تَحْتَ تَأْثِيْرِ قُوَّتَيْنِ مُتَسَاوِيَتَيْنِ مِقْدَاراً، مُتَعَاكِسَتَيْنِ اتِّجَاهاً».

وَهَكَذَا نَرَى أَنَّ (ابْنَ مَلكَا) قَدْ أَبْدَعَ في شَرْحِ قَوَانِيْنِ الحَرَكَةِ، وَأَوْجَدَ نَظَرِيَّاتٍ جَدِيْدَةً في هَذَا المِضْمَارِ، سَبَقَ فِيْهَا عُلَمَاءَ عَصْرِهِ وَالَّذِيْنَ كَانُوا قَبْلَهُ عَلَى شَكْلٍ يَجْعَلُنَا نَضَعُهُ في مَصَافِّ عُلَمَاءِ المِيْكَانِيْكَا الأَوَائِلِ في العَالَمِ أَجْمَع.

الأَسْـــئِلَةُ وَالـــمُـــنَاقَشَـــةُ

1 ـ لِـمَـاذا لُقِّبَ (ابْنُ مَلكَا) بِأَوْحَدِ الزَّمَانِ؟

2 ـ مَاذَا يَنْتُجُ لَوْ أَضَفْنَا جُهُوْدَ (ابْنِ مَلكَا) إِلى جُهُوْدِ (الرَّازِيِّ)؟

3 ـ أَيْنَ وُلِدَ (ابْنُ مَلكَا)؟ وَلِـمَـاذَا انْتَقَلَ إِلى بَغدادَ؟

4 ـ كَيْفَ كَانَ يَعِيْشُ أَتْبَاعُ الدّيَانَاتِ في الـمُجْتَمَعِ الإِسْلامِيِّ؟

5 ـ بِمَـاذَا كَانَ (ابْنُ مَلكَا) يَنْصَحُ تَلامِذَتَهُ؟

6 ـ لِـمَـاذَا كَانَ (ابْنُ مَلكَا) يَتَقَصَّدُ لَعْنَ اليَهُودِ أَمَامَ (ابْنِ التّلمِيْذِ)؟

7 ـ مَاذَا تَـحَمَّلَ (ابْنُ مَلكَا) مِنْ أَقْرِبَائِهِ بَعْدَ إِسْلامِهِ؟

8 ـ مَنْ هُمْ أَبْرَزُ تَلامِذَةِ (ابْنِ مَلكَا)؟